بعد . فاللفظة « الملك » هي مميزة لداود لانه اول من اشتهر كملك على شعب الله . وحتى الآن اذا ذكرنا اسم داود نُتبعه باللفظة « الملك » فنقول داود الملك . وكذلك القول عن ابياتار الذي سُمّي رئيس الكهنة ، كما يتضح من سفر اخبار الايام الاول (٢٤ : ٣—٥) : « كهنَ أليعازار وأيتامار . وقسمهم داود عشيرةً صادوق من بني اليعازار وعشيرةً احيملك من بني ايتامار . . . لانّ رؤساء القُدس ورؤساء بيت الله كانوا من بني اليعازار وبني ايتامار » . فابياتار بن احيملك بن احيطوب من بني ايتامار بن هرون كان اول من اعطي من عائلة ايتامار هذا اللقب : « رئيس الكهنة »

وانّما آثر مرقس ذكر ابياتار دون ذكر ابيه ، لشهرته عموماً ، ولانه كان حاضراً عند قدوم داود الى نوب . ولانّ غاية مرقس كانت متجهة لا الى شخص الكاهن سواء كان احيملك ام ابياتار ، بل خاصةً الى مسألة اكل الخبز المقدس الذي لم يكُن يحلّ اكلهُ الّا للكهنة

دير كفيفان

الدير — المدرسة — الابتداء

بقلم الاب بطرس ساره رئيس مدرسة الرهبان اللبنانيين في بيروت

هو احد اديار الرهبانية اللبنانيـة البلدية ، موقعه على هضبة بين قريتي كفيفان الى جهة الشمال ، وعبدلي الى الجنوب ، لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ستمائة متر ، يرقد الى جانبه القبلي حرج جميل من السنديان ندر ان ترى مثله في غير جوار الاديار . والى الجهة الغربية غابة غضة من الصنوبر هي نزهة تلك البقعة . وبما ان لهذا الدير شأناً في تاريخ الاديار اللبنانية ، رأيت ان اضع فيه لمحةً كنت قد وعدت بها قراء المشرق الكرام ، وها انا وافٍ بوعدي :

١

الدير : تاريخه ، تسميته

اننا لم نجد قبل مطلع القرن الثالث عشر اثرًا لتاريخ هذا الدير . وليس ما ذكره عنه العلامة الدويهي في سلسلة البطاركة ، والدبس في تاريخه ، شيئاً وافياً بالمراد ؛ ولا عجب فان تاريخ تلك العصور لم يكن جليًا واضحاً ، او ان ما تركه لنا ذهب كغيره من الآثار ، فريسة الضياع والدمار . وكل ما جاء عن ذلك الدير : انه كان كرسيًا بطريركيًا في مستهل القرن الثالث عشر، كما ذكر الدويهي في سلسلة البطاركة حيث يقول :

« انتقل الكرسي البطريركي سادسةً من سيدة يانوح ، حيث كان جالساً على السدة البطريركية ارميا العمشيتي السنة ١٢٠٩ ، الى دير القديس قبريانوس في كفيفان ، وهناك جلس دانيال الشاماتي خليفة ارميا ، ونقل الكرسي الى دير مار جرجس الكفر ، ومنه الى دير القديس مارون في كفرحي » (١

ونظن ان عهد التاريخ بديرنا هذا ابعد من تلك الايام . ونرى على مسافة نحو كيلومتر من الدير ، من الجهة الغربية الجنوبية ، كنيسة قديمة في قرية رامات لا يبعد ان تكون من ايام الصليبيين ومثلها في الجهة الشرقية كنيسة أخرى على اسم السيدة لا تبعد اكثر من عشر دقائق . اما تسمية الدير بدير كفيفان ، فهي منسوبة الى قرية كفيفان القريبة منه ، كما هي العادة بتسمية الاديار باسماء القرى المجاورة لها . واللفظة على ما يظهر سريانية او كلدانية تصحيف لفظة ܟܦܦܐ ، ومعناها المحدّب ، المنحني ، لوجود القرية والدير مثلها فوق ارض محدبة ، بين واديين او شعبين كما تقدم . وقد تخصّص مقاماً للقديسين الشهيدين كبريانوس ويوستينا ، منذ تعيينه كرسيًا بطريركاً

* * *

استلمته الرهبانية ، مع ديري سيدة ميفوق ، ودير مار انطونيوس حوب وانطوش جبيل ، من الامير يوسف شهاب ، حاكم الجبل في تلك الايام . وكان المستلم لهذه الاديار واملاكها وقتئذٍ الرئيس العام الاب اقليموس المزرعاني ، مع

(١ سلسلة البطاركة — طبعة المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٨

الآباء مدبريه الاربعة وهم عمانويل الرشماني ، ومرقس الكفاعي ، ويعقوب البسراوي ، وجرمانوس الشبابي . وذلك في ١٣ رجب السنة ١١٨٠ هجرية ، الموافقة لسنة ١٧٦٣ . وقد اهملت روزنامته او سجلّه ذكر من ترأس عليه مدة اثنتي عشرة سنة اي من السنة ١٧٦٣ الى السنة ١٧٧٥ حيث تبتدئ سلسلة رؤسائه بالاب فرنسيس الكفاعي ، والاباء مرقس المرقباوي (عكار) وماتيا المتيني الخ ... وتنتهي بالآباء : اغناطيوس التنوري ، الرئيس العام الحالي ، وباسيل البتروني ، وبطرس البجدرفلي ، ويوحنا المنداري الكفوري . وكان عدد الرؤساء الذين تعاقبوا عليه مدة مائة واحدى وخمسين سنة ، اي من السنة ١٧٧٥ الى السنة ١٩٢٨ خمسين رئيساً . وكان جمهور رهبانه ، كما في سائر الاديار ، دائبين في الشغل والعمل لاجل تحسين الاملاك وتوسيعها ؛ فزادت مداخيله اضعاف ما كانت عليه . غير انه ما زال معدوداً ، بين اديار الرهبانية ، من الاديار المتوسطة بل الفقيرة بمداخيلها . لكن جمهوره الكبير يعيش بالبركة من تعب يديه وعرق جبينه

ولما كان بناؤه القديم غير كافٍ لسكن الرهبان ، وكنيسته ضيقة حقيرة ، بنى الاب موسى الشرتوني ، الرئيس آنئذٍ ، الكنيسة الحالية في السنة التاسعة والاربعين من دخوله في حوزة الرهبانية ، اي سنة ١٨٢٦ ، في عهد البطريرك يوسف حبيش[١] ، والمطران جرمانوس ثابت ، مطران جبيل والبترون ، والاب العام اغناطيوس بليبل ، كما يُستفاد من تاريخ قديم محفور على عتبة الكنيسة بصورة شعر عامي . وقد شرع بتجديد بناء الدير الاب الياس المشماني سنة ١٨٦٥ ؛ ولقصر ذات اليد لم يتمكن من اتمامه دفعةً واحدة . ثم استؤنف البناء برئاسة الاباء بطرس البجدرفلي ، وبطرس البجاني ، وبولس الغوماوي ، الذي اقام الجهتين القبلية والبحرية حتى الباب الكبير على نفقة الرئاسة العامة ويرجع الفضل باتمام بنائه الى الاب يوحنا الشبطيني ، الذي حسّن في الاملاك

١) علق هذا البطريرك على مذبح الكنيسة الكبير غفرانًا كاملًا مؤبدًا يوميًا يربحه كل كاهن يقدس عليه ، ويربح مثله كل زائر كنيسة الدير على شرط ان يعترف ويتناول ويصلي على نية الحبر الاعظم . وهذا الانعام بموجب تفويض معطى في ١٦ تموز السنة ١٨٢٧ من البابا لاون الثاني عشر

واقتصد بمداخيلها ، حتى تمكن من انجاز العمل في السنة ١٨٩٥ . واستلزم ذلك مبلغاً من المال لا يستهان به . فيكون ان اتمام بناء الدير على هيئته الحاضرة قد استغرق مدة ثلاثين سنة (١٨٦٥—١٨٩٥) وهذا ما يدلك على عجز مالية هذا الدير ، اذ لم يستطع الرؤساء بناءهُ الّا بعد سنين متتالية . وهذا حظ كثير من الاديار التي لم تكن تبنى الّا من مداخيل املاكها ، كدير ميفوق الفخم وغيره . وترى اليوم ان الرهبانية اذا عزمت على بناء دير او تجديده اضطرّت ان تبيع قسماً من املاكه ، اذ لا مورد لها يدرّ عليها ما يقوم بنفقات البناء الباهظة وهذا داحض لوهم بعض الناس الناظرين بعين الحسد الى تلك الاملاك الواسعة وهم يجهلون ان مداخيلها تكاد تقوم بمعاش جماهير اديارها وبحرث اراضيها وتحسينها فلا تصبح بوراً

٢

المدرسة

قد سبق لنا كلام في المدرسة الرهبانية باللمحة التاريخية عن دير سيدة المونات (دير البنات) (١ وفي حينهِ بيّنا ما كانت عليه المدرسة التي تنشئ بها الرهبانية ابناءها متنقلة بهم من دير الى دير ، ملزمةً اياهم ، فوق الدرس والمطالعة ، بعض الاشغال اليدوية كالحصاد وحرث الارض وتربية دود الحرير ، وغير ذلك من الاشغال المتعبة . وهي خطة سارت عليها الرهبانية شوطاً من الزمن ، كانت اوفق لحالتها وغايتها الاولى المقصودة من مؤسسيها ، اي النسك والتقشف ، والصلاة والعمل بممارسة بعض الحرف الضرورية للمعاش . وكان معظم الرهبان يدرسون العلوم اللازمة لاعدادهم الى درجة الكهنوت المقدسة ، والقيام بواجباتهم الرهبانية والكهنوتية ، مرسخة في اذهانهم وموصية اياهم بان يبقوا متمسكين بروح الشغل المقدس ، عاكفين على مقاتلة روح البطالة الممقوت ، ومحافظين على ما اورثهم اياه الاسلاف من الاملاك الواسعة التي حرثوها وسقوها عرق جبينهم ، ودم قلوبهم

على ان الرهبانية ما كانت لتهمل تخريج بعض ابنائها ممن ترى فيهم قابلية

١) راجع المشرق (٢٥ : [١٩٢٧] ١٢٣)

كافية لدرس اللغات والعلوم العالية ونيل شهاداتها في المدارس الكبرى ، كمدرسة البروبوغنده في رومية ، وكلية القديس يوسف في بيروت ، حيث تخرج ويتخرج عدد غير قليل من الرهبان . اما المدرسة في دير كفيفان فقد تعيَّن إنشاؤها ، على ما يتبين من روزنامة الدير ، في السنة ١٨٠٨ . ولم تكن المدرسة ، في ذلك العهد ، على دقتها ونظامها الحالي كما اشرنا ، فان الرهبان الدارسين لم يكونوا ينفكون عن مطاولة الاشغال اليدوية في الحقل ، او في داخل الدير ، ويقيمون جميع الصلوات الفرضية والرتب البيعية . ورغماً من ضيق الوقت فانهم كانوا يتقنون اللغتين العربية والسريانية ويدققون في علم اللاهوت الادبي ودرس بعض القضايا الهامة . وكان الاب نعمة الله الكفري (١ ، واضع الغراماطيق السرياني « مورد التحقيق » ، احد اساتذة تلك المدرسة . وقد تخرج فيها مدة الست والستين سنة (١٨٠٨ — ١٨٧٤) نحو من مئتين وستين كاهناً ، كثيرون منهم اشتهروا بعلمهم وقداسة سيرتهم كالاب نعمة الله كساب الحرديني الشهير ، والاب اغناطيوس بليبل الذي كان رئيساً عاماً على الرهبانية واتى فيها من الاعمال ما يذكره له تاريخها بالفخر ، والاب انطونيوس الفغالي الذي اتقن اللغة العربية ووضع فيها بعض تآليف في فن العروض وارجوزة في المعاني والبيان ، والاب بطرس البجدرفلي الذي ترأس على دير قزحيا وبنى كنيسته الحالية على هندستها الحاضرة بواجهتها الفخمة (٢ . والاب يواصاف العنيسي الجاجي ، وكان من اصحاب الذكاء والرأي الصائب ، والغيرة على مصالح الرهبانية . وغير هؤلاء كثيرون ممن اشتهروا بفضلهم وفضائلهم ، وذهب لهم صيتٌ حسن في الطائفة وفي الرهبانية وتقلبوا في وظائفها وخدموا فيها اصدق خدمة

وانقطع التدريس في دير كفيفان مدة الى ان عهد المجمع المقدس بالرئاسة العامة الى المرحوم الاب مبارك سلامه المتيني (٣ فعين دير كفيفان مدرسة منظمة على الطريقة الجديدة ، وعهد بادارتها الى الاب المرحوم اسطفان صقر البتاعلي ، احد خريجي كلية القديس يوسف ، وكان من ذوي المقدرة والمكانة في الوعظ

١) المشرق (٤ [١٩٠١] : ٨٧٣)
٢) وقد جلب الى دير كفيفان مكتبة الآباء نحو اربعمائة مجلد
٣) المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥٢–٨٦٣)

والارشاد وطريقة التعليم . فسارت المدرسة سيراً حثيثاً في طريق التقدم والنجاح ، وكانت تدرس فيها اللغات الثلاث العربية والسريانية ومبادئ الافرنسية . ومن خريجيها حضرة الاب مبارك ثابت الديراني ذو الباع الطولى في الانشاء والكتابة . وقد ضمّ الرؤساء الى تلك المدرسة ، في السنة ١٨٩٧ ، مدرسة اخرى خارجية وداخلية للتلاميذ العاليين استلم ادارتها المرحوم الاب الياس المشمشاني ، وخلفه الاب لياوس داغر التنوري ، وكلاهما من خريجي مدرسة القديس يوسف الكلية . وقد استحقت تلك المدرسة ثناء الكثيرين ممن وقفوا على ادارتها وتعليمها ، اذ كانت وافية بمراد الاهلين يتعلم فيها الطالب ما هو ضروري لاجل معاطاته ومعاملاته بين الناس ؛ ولا يستنكف من الرجوع الى مهنة والده ان كانت الزراعة او حرفة من الحرف ، غير طامع بما هو فوق طاقته ومقدوره . ومثل هذه المدارس المتوسطة كانت انفع لبلاد لا قيام لسكانها الّا بجراثة اراضيها واستثمار المياه الكثيرة التي فيها وترويج صناعتها وتسهيل طرق الاصطياف في ربوعها

٣

ابو بترا

ولما القى المجمع المقدس مقاليد الزيارة الرسولية بين يدي غبطة السيد البطريرك ماري الياس بطرس الحويك على اثر تبوئه السدّة البطريركية ، امر بنقل المدرسة الى دير سيدة النصر في نبيه قرب غسطا ، لتكون قريبة من كرسيه بكركي ، وتحت ظل عنايته الابوية الخاصة . وعيّن عندئذٍ دير كفيفان ، ديراً للابتداء . وكان باب الابتداء قد أقفل في الرهبانية بحكم بعض الظروف بعد ان عزّ عدة سنوات وكثر الاقبال عليه في ديري الناعمة ؛ ثم في دير مار موسى الحبشي ، في قضائي الشوف والمتن . وكان يبلغ عدد المبتدئين ، في بعض السنين ، نحو السبعين مبتدئاً . ومن دير مار موسى الحبشي ، نقل الابتداء ، بامر السعيد الذكر البطريرك يوحنّا الحاج ، الى دير قزحيا ، ومنه تفرق المبتدئون ، بامر الرؤساء ، كل خمسة او ستة معاً في بعض اديار الرهبانية ، لظروف طرأت

ولم يكن الابتداء موحّدًا كما هو اليوم بل كان رؤساء الاديار ، في جميع المعاملات ، مفوّضين بقبول طالبي الترهب في اديارهم ، وذلك تسهيلًا للطلبة ، وتكثيرًا لابناء الرهبانية . وكان الابتداء في قديم عهده على غير الطريقة الحالية . فانها في القديم كانت صعبة قاسية لا يستطيع احتمالها الّا من كان ذا ارادة صلبة ، عزومة . اما اليوم وقد تغيرت الاحوال والامزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مزاجه ومقدرته على العمل ، فلا تكلفه من الاشغال ، ولا تفرض عليه من العقوبات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل . ورغمًا عن كل هذه التسهيلات ، نرى الدعوات تقل عن الماضي ، وقد اصبح تمحيصها نادرًا . وربما كان سبب ذلك النقص فتورًا في الدين نراه اليوم بعين دامعة ينسلّ في قلوب الكثيرين ويدسّ فيهم روحًا عصرية فاسدة هي روح الكبرياء والانانية ، وبعدهم عن روح الانجيل المقدس ، روح الكفران بالذات ، والتواضع المسيحي . والسبب الثاني لنقص الدعوات الاكليريكية هو فتح باب المهاجرة على مصراعيه حتى كاد يفرغ البلاد من سكانها . ومن المعلوم ان الابتداء في جميع الرهبانيات على تنوع غاياتها انما هو مدرسة الفضيلة فيها يتلقن الطالب دروس الفضائل المسيحية والرهبانية ، ويتمرس عليها ، بما تفرضه القوانين من رياضات روحية ، واعمال يدوية ، ويتعلم الشروع ببناية كماله الرهباني على اساس التواضع ، والاماتة ، والكفران بالذات . وبهذا نعلم ما للابتداء من الاهمية في نظر الكنيسة والاباء مؤسسي الرهبانيات ؛ ولهذا السبب تُوجّه اليه كل العناية ، لانه حجر الزاوية في تأسيس الجماعات الرهبانية . فيختارون له من الآباء والرهبان ، افضلهم علماً وتقى ، واقدرهم على تدريب الناشئة وتهذيبها بالقول والمثل . وقياماً بهذا الفرض رأى غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى ، يوم تعيينه دير كفيفان ديرًا للابتداء ، ان يختار له ابوين غيورين ، عرفا بتقواهما وتجردهما الرهباني ، وغيرتهما على حفظ القانون ، هما : المرحوم الاب نعمة الله الكفري ، والاب اغناطيوس داغر التنوري الرئيس العام حالياً على الرهبانية . وعين لهما ساعدين من خيرة الآباء والاخوة الرهبان . وكان غبطته يتنازل ويذهب بذاته احياناً لزيارة دير الابتداء ، متفقدًا شؤون المبتدئين

لما عليهم من الاماني والآمال في تجديد الروح الرهباني ، والمحافظة على القوانين المقدسة . ومن الاسباب التي حملت غبطته على تعيين دير كفيفان للابتداء دون سواه ، وجود جثمان رجل الله الطيب الاثر الاب نعمة الله كسّاب الحرديني في ذلك الدير سليماً لم يسطُ عليه فساد القبر ، بعد ان مرّت عليه السنون ، وهو كنز ثمين تفوح منه رائحة القداسة فتعطر جميع الارجاء اللبنانية . فانه ما زال وهو ميت مثالًا حيًّا بذكراه الطيبة وفضائله الخالدة ، ومعجزاته الكثيرة يتحدّث بها الرهبان والركبان في كل اين ومكان . ونحن نعتقد ان تلك الذخيرة الثمينة كانت وما زالت لدير كفيفان اثمن كنز وافضل بركة ، وكان بها للمبتدئين خير قدوة واقوى سند ينشط بهم الى مداومة السير في طريق الكمال الانجيلي

اما قانون الابتداء ، فهو عبارة عن مجموع بعض قواعد تهذيبية ، وكناية عن توطئة وتمهيد للقانون الرهباني . وقد حصر غبطة السيد البطريرك عدد المبتدئين في بادئ الامر بخمسة وعشرين مبتدئاً ، ملاحظاً بذلك حالة الدير المادية ، وانتخاب الاصلح من الذين يتقدمون الى الترهب . وما مرّ رديح من الزمان حتى كثر اقبال الطلبة ، فاضطر الرؤساء عندئذٍ الّا يتقيدوا بعدد محصور ، وان يأذنوا بقبول من تكون فيه الصفات القانونية والشروط اللازمة . وكان اول المبتدئين وبكرهم ، كما يُستفاد من السجل الموجود في الدير ، الشاب اسطفان اسحق الطبشي من ابكاة البترون ، وهو اليوم الاب لويس البتروني المرسل البطريركي الذي يتعاطى اعمال الرسالة منذ اكثر من عشرين سنة ، وقد عرف بغيرته على النفوس وتفانيه في عمل الخير ومقدرته على الوعظ ، في اكثر الانحاء اللبنانية التي جالها ، وما زال مبشراً بكلمة الحق . وقد طالعت سجل الناذرين والناذرات اسماءهم من السنة ١٩٠١ الى السنة ١٩٢٨ الحالية فاذا عددهم ٣١٨ راهباً وهو عدد لا يستهان به . واذا طرحنا منهم العدد القليل الذي لم يثبت في دعوته ، نراهم اليوم اكثر من نصف الرهبانية ، منهم من اسندت اليهم رئاسات الاديار وغيرها من الوظائف الرهبانية ، ومنهم اساتذة في المدارس او خدمة نفوس في الرعايا ، او منذرون بكلمة الله في عمل الرسالة ، وغير

رسم اللجنة الطبية مع بعض الموجودين في حفلة دفن جثمان الاب نعمة‌الله المردينى
في دير كفيفان سنة ١٩٢٧

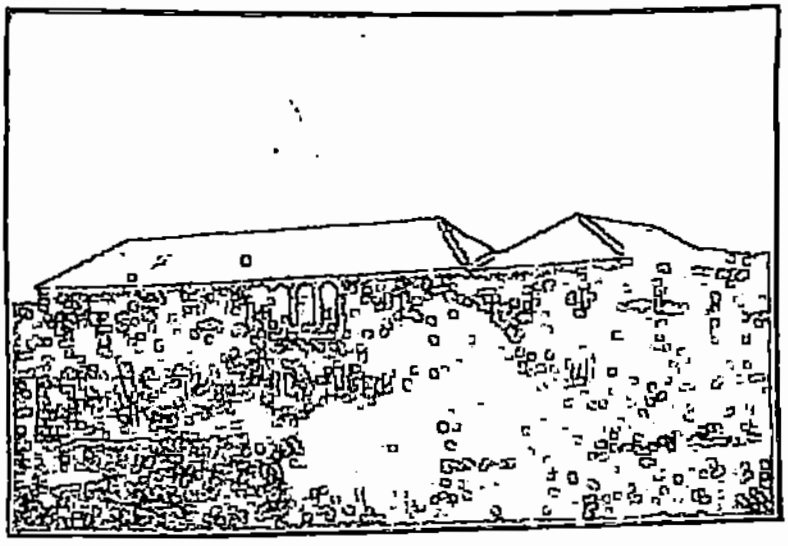

صورة دير كفيفان

ذلك من الاعمال المفيدة للدين وللوطن . فيحق لدير كفيفان ان يفخر باولئك الرهبان الذين تنشّقوا فيه روح الفضيلة والتقوى وثبتوا في دعوتهم قائمين بواجباتهم الكهنوتية والرهبانية حق قيام

ومن حسنات هذا الدير حسنة يسطرها له تاريخ الحرب الكونية بالشكر والثناء وهي انه ، رغم فقره وقلة مداخيله ، وكثرة جمهوره ، كان يطعم عدداً وافراً من الفقراء الطارقين بابه كل يوم ، ويوزّع الصدقات على المحتاجين ، ويقوم باعمال الرحمة الروحية نحوهم كما هو اليوم . وذلك برئاسة حضرة الاب بطرس الحائك البجدرفلي ، معلم المبتدئين حالياً . ولم يزل ، بفضل حضرة رئيسه الحالي الغيور الاب يوحنا العنداري الكفوري ، ديراً قانونياً عامراً تربى فيه ناشئة الرهبانية على سنن البر والصلاح . وهو باقٍ وسيبقى محجة تقى وقداسة لزائري ضريح ذلك البارّ صفيّ الله الاب نعمة الله كساب الحرديني حيث ثوى جثمانه بعد ان أُجري عليه الفحص الطبي السنة الماضية بحفلة حافلة ، بحضور اللجنة المقامة لفحص دعواه ودعوى رفيقيه البارّين الاب شربل مخلوف بقاعكفرا ، والراهبة رفقا الرئيس حلايا . وقد سافر مؤخراً حضرة رئيس الرهبانية العام الاب اغناطيوس التنوري الكلي الاحترام ، يصحبه حضرة الاب مرتينوس طربيه الوكيل العام على الرهبانية ، الى رومية لرفع تلك الدعوى الى المجمع المقدس لينظر فيها ، ويرفعها الى قداسة الحبر الاعظم فيتنازل الى قبولها . وقد كتب مؤخراً حضرة الوكيل العام المشار اليه ، يبشر بان الاب الاقدس تنازل وابدى عن عطفه الابوي السامي الى الرئيس العام والرهبانية وارتياحه التام الى تلك الدعوى ، اذ اراد ان يُعنى بها عناية خاصة ويرغب في مطالعتها ، ثم يحولها الى المجمع ؛ وهذه نعمة خارقة العادة تجعلنا ان نأمل ، بمعونة الله وصلوات اتقيائه القديسين ، تطويب هؤلاء الاصفياء الثلاثة ، وتكون دعواهم ، بعد تطويب الاخوة الثلاثة المباركين ، الدعوى الثانية اللبنانية في الكنيسة الشرقية بعد وضع قانون تثبيت القديسين . وسنرى ، ان شاء الله ، صورهم مرفوعة على المذابح لاجل مجد الله الاعظم ، وفخر الكنيسة المقدسة ومسرة ابنائها ولاسيما الشرقيين ، حقق الله الآمال ! . . .